جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

عبد القاهر الجرجاني

في الخطاب النقدي المعاصر

أطروحة دكتوراه قدّمها

سعد جمعة صالح الدليمي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور: أحمد مطلوب

جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ آذار ٢٠١٤م

مدخل:

لم يكن من اليسير نشأة رؤية نقدية موحدة تؤطر هيكلية الإبداع العربي في القرون الأربعة الأولى للهجرة النبوية، بسبب اختلاف مشارب الحياة وتنوع أساليب التلقي وتعدد الفلسفات التي تحيط بالمذاهب الدينية إذ كل منها يأخذ ما يتناسب ورؤيته، ولعل العامل الرئيس في تنوع هذه الرؤى هو البحث عن أبعاد علمية لتفسير الخطاب الأدبي، ولاسيما أنَّ الإبداع الفني قد وصل إلى مراحل من النضج الفكري يصعب معه النيل من أبعاده، فكان لابد من الإشارة والتجريب حتى كانت السمة الغالبة على هذه المدونات احتواءها على الغث والسمين من التصورات النقدية، فضلا عن انكماشها في أحايين كثيرة عن إشباع الحاجة إلى إدراك الغاية التي تقال فيها، فتعددت الآراء، وتبعت هذا التعدد تحولات نقدية مهمة في مجال اللغة عامة والنقد خاصة.

وعلى الرغم من وجود هذا التراكم المعرفي الكبير فإنه لم يصل إلى مراحل النضج الفكري والتأليفي إلا على يد عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري ومع ظهور كتابيه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز).

وفي ظل هذه الرؤية برزت الإشكالية الكبيرة التي يعيشها النقد المعاصر في التعامل مع التراث، نتيجة التنازع الفكري بين باحثيه ودارسيه، كل منهم يقرأ الأفكار ويتأول النصوص بحسب مرجعياته الثقافية، ومعرفته المنهجية، إذ كانت (الحداثة الغربية) العامل الرئيس في انبثاق حركة هذه التيارات سواء أكان ذلك على الصعيد الإيجابي أم على الصعيد السلبي من المناداة بالقطيعة مع التراث، فامتلأت الساحة النقدية العربية المعاصرة بالكثير من البحوث والدراسات والمقالات التي تتعامل مع

التراث النقدي والبلاغي العربي بوصفه أرث الأمة وإمكانيتها في النهضة والتطور لمواكبة حركة الفكر العالمي الغربي والإسهام في إغناء الثقافة العالمية.

ولعل أهم ما تتسم به هذه الدراسات هو قراءة النصوص النقدية عند عبد القاهر الجرجاني من خلال مرجعياتها عند القدماء، للكشف عن حجم التطور والإضافة اللتين صاحبتا جهده النقدي، ومن ثم لتأصيل هذه المنطلقات بوصفها حضارة عريقة اكتسبت شرعيتها من إبداعها الذاتي الداخلي بعيدا عن المؤثرات الخارجية.

التفت النقد المعاصر إلى المنجز الإبداعي لعبد القاهر بفضل استخدام الشيخ محمد عبدة (١٩٠٤م) كتابي (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لأجل تدريسهما في الجامع الأزهر في بداية القرن العشرين؛ إذ إنَّ النظرة المعمقة والشاملة للدراسات والأبحاث التي تعاملت من هذه الرؤية، تضع القارئ أمام الكثير من التصورات المتباينة للتراث – متمثلا بآراء عبد القاهر ومنطلقاته النقدية–؛ وهذا التباين ناتج من اختلاف زوايا النظر، أو القراءة السطحية أو العميقة للنصوص، أو أحادية القراءة والمسك بطرف واحد والتعويل عليه، ويزعم البحث لملمة هذه التصورات وقولبتها في هيكلية منتزعة من هذه الرؤى الكثيرة بهدف الخروج بدرجة من القبول تعين القارئين والباحثين علي الإفادة منها، ولا سيما أننا إلى يومنا هذا نجد بعضا من الدراسات ما زالت تخط على الرمال.

ومن هنا تندرج في هذا الباب الدراسات والبحوث الخاصة بالفهم التراثي للتراث ذلك ((أنَّ ما يميز الثقافة العربية منذ عصر التدوين إلى اليوم هو أنَّ "الحركة" داخلها لا تتجسم في إنتاج الجديد، بل في إعادة إنتاج القديم))[١]. إذ إنَّ استلهام

(١) التراث والحداثة دراسات..ومناقشات: ١٥.

التراث يتخذ لنفسه في الدراسات المعاصرة منزلة مُولِّد التأصيل الفردي الذي بدونه يبقى الفكر العربي سجين الأخذ، محظورا من العطاء[١].

وقد أخذ هذا الباب لنفسه التمحور في ثلاثة فصول، جاء الأول منها بعنوان (اللفظ والمعنى: التباس المفاهيم وتزاحم الدلالات)، فيما يحمل الثاني عنوان (النحو العربي آليات العمل واستثمار المضامين)، وجاء الثالث بعنوان (النظم العربي من تشعبات الموضوع إلى وحدة المضمون).

(١) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: د.عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس،١٩٨١م:١٢.